

"المجتمعات ذات التركيب الاجتماعي* غير القائم على الزراعة

وفخارها خلال عصور ما قبل التاريخ

في مصر وأمريكا الشمالية، دراسة مقارنة"

د. إيمان السيد علي نور الدين خليفة*

الملخص:

إن العنصر الأساسي الذي تقوم عليه الحضارات هو الزراعة والذي اعتمد عليه الإنسان بصفة أساسية كمصدر للغذاء، مع وجود فائض يحتاج للتخزين في مخازن أو أواني فخارية، والتي ارتبط انتشارها في العالم القديم بانتشار الزراعة نفسها. أما في العالم الجديد، وكما هو الحال في بعض مناطق الشرق الأدنى القديم، فقد عرفت العديد من المجتمعات التركيب الاجتماعي وفي بعض الأحيان الفخار دون الاعتماد على الزراعة كمصدر أساسي للغذاء. وقد ظهرت الزراعة في أمريكا الشمالية مع نهاية العصر العتيق الأوسط. بينما في مصر لا توجد إشارات لمعرفة الزراعة قبل حضارة الفيوم، على الرغم من ظهور الفخار ومعرفة الاستقرار والتركيب الاجتماعي قبل ذلك بوقت طويل.

تستعرض هذه الورقة البحثية نماذج للجماعات التي عاشت في أمريكا الشمالية خلال عصور ما قبل التاريخ وكانت ذات تركيب اجتماعي غير معتمد على الزراعة، مع مقارنة تلك الجماعات بتلك التي كانت موجودة في مصر خلال العصر الحجري الحديث الصحراوي. وكلاهما عرف الفخار وشكل من أشكال التركيب الاجتماعي دون معرفة الزراعة. وبهذا يبين هذا البحث أن تأمين مصدر للغذاء - وليس الزراعة - يعتبر ركناً أساسياً من أركان الاستقرار وظهور التركيب الاجتماعي بين جماعات عصور ما قبل التاريخ. أما الفخار فلا يقتصر ظهوره على المجتمعات الزراعية أو التي تعرف بالاستقرار فقط، وينطبق هذا على قارتي العالم القديم والجديد، ولكن مع اختلاف الفترة الزمنية والأسباب.

* تعتبر دراسات التركيب الاجتماعي جزء أساسي من دراسات علم الآثار الحديث وهي تهدف للبحث عن دلائل أثرية تكشف عن التباين وأسبابه بين أفراد وطوائف المجتمعات القديمة. من الدراسات التي ارثت قواعد ذلك الفرع دراستي Service ١٩٦٢ و Fried ١٩٦٧. تعتمد دراسات التركيب الاجتماعي على الآثار الجنائزية (من حيث حجم الدفقات وكم المتاع الجنائزي) لتفرق بين المكانة الموروثة والمكانة المكتسبة وأسباب اكتسابها، بالإضافة إلى دراسات المشروعات التي تتطلب تنظيم اجتماعي كدلالة على وجود إدارة وبالتالي طبقات مختلفة داخل المجتمع. للمزيد عن التركيب الاجتماعي أنظر Maschner ١٩٩٦.

*مدرس بقسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة ekhalifa13@gmail.com

الكلمات الدالة:

ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية، التركيب الاجتماعي، الزراعة، بدايات الفخار، إنتاج الغذاء

أهم نقاط البحث:

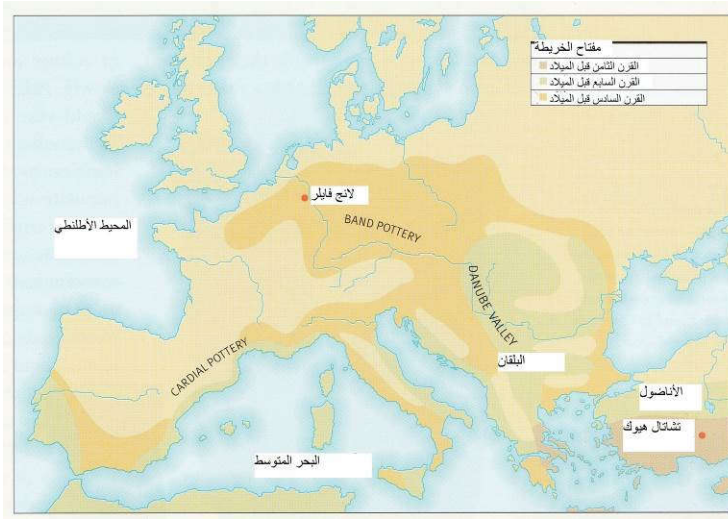
- إنتاج الغذاء في ما قبل التاريخ لا يقتصر فقط على الزراعة.
 - عرفت مصر خلال العصر الحجري الحديث الصحراوي الاستقرار والفخار دون معرفة الزراعة.
 - اعتمدت بعض مجتمعات ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية على مصادر غير الزراعة عند بداية إنتاجها للغذاء.
 - تعددت أسباب ظهور الفخار، إلا أن الطهي يعتبر من أهم وأول استخدامات الفخار.
- أ- تمهيد:

اعتبر العلماء العامل الأساسي لقيام الحضارات هو إهداء الإنسان للزراعة خلال العصر الحجري الحديث، وما تضمنه ذلك من استزراع للنبات واستئناس للحيوان سهلته الطبيعة الخاصة بكل منطقة وما اكتسبه إنسان تلك المنطقة من خبرة ودراية بما يمكن الحصول عليه من غذاء وشراب^(١) ويُعتبر هذا هو التحول الأهم في تاريخ البشرية لأنه غير الإنسان من جامع للطعام إلى منتج له (منذ ١٠٠٠٠ إلى ٥٠٠ ق.م.)^(٢) وقد ارتبط انتشار الزراعة في العالم القديم بظهور وانتشار الفخار في أغلب الحالات (شكل رقم ١)^(٣).

(1) J. M. Roberts, Prehistory and the First Civilizations, p. 52-53.

(2) R. B. Graber et al, Meeting Anthropology Phase to Phase, p. 227.

(3) J. M. Roberts, Prehistory and the First Civilizations, p. 53.



شكل رقم (١): خريطة توضح مناطق انتشار الزراعة وطرز الفخار خلال العصر الحجري الحديث في أوروبا

تعريب وتعديل الباحثة نقلاً عن: J. M. Roberts 1999

ترتبت على ممارسة الإنسان للزراعة توفر فائض في بعض المناطق وحرمان مناطق أخرى مما أوجد صراعات تطلبت وجود قوة سياسية معنية بحماية المحصول، وقد أدى ذلك إلى ظهور طبقات متباينة فيما يعرف بالتركيب أو التعقيد الاجتماعي.^(٤) وتعتمد درجة السرعة التي يتحول بها المجتمع إلى تركيب إجتماعي معين على الأسباب التالية: (١) الجغرافيا، (٢) المناخ، (٣) العوامل التي تساهم في التطور، (٤) قوى التي تدفع بالتطور الثقافي، هذا إلى جانب الأفراد والمجتمع والعوامل التنظيمية.^(٥) والعوامل التنظيمية هي ما يتطلبه تنفيذ مشروعات كبرى مثل إنشاء شبكات الري خلال عصور ما قبل التاريخ في جنوب غرب الولايات المتحدة،^(٦) أو الميجاليث في العصر الحجري الحديث الصحراوي في مصر. وبسبب تلك النقطة الأخيرة أمكن الجمع بين المنطقتين في دراسة مقارنة.

(4) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 123; R. Lewin and R. A. Foley, Principles of Human Evolution, p. 490; J. M. Roberts, Prehistory and the First Civilizations, p. 57.

(5) K. M. Ames, Tempo and Scale in the Evolution of Social Complexity in Western North America, p. 58-59.

(6) H. Maschner, Theories of Ranking and Social Inequality, p. 588.

تتلخص أسباب ظهور التركيب الاجتماعي في أسباب أساسية وتقريبية، بالإضافة لبعض الشروط التي يجب توفرها،^(٧) والتي تتمثل في: التفاوت في حجم الثروات بين الأفراد حسب مكانتهم، وإذا كانت تلك المكانة موروثية أم مكتسبة، كذلك درجة التخصص المهني بين الأفراد، ومركزية الحكم.^(٨) وتختلف المجتمعات الزراعية عن غيرها من حيث طبيعة الاستقرار وما تخلفه من دلائل أثرية، بالإضافة إلى إنتشار الصراعات، ودرجة التركيب الاجتماعي والحاجة لتخزين الفائض سواء في حفرات التخزين أو الأواني الفخارية.^(٩) والتباين بين أفراد المجتمع من حيث المكانة يمكن الاستدلال عليه من خلال دراسة الحلي وحجم ومكان الدفن.^(١٠)

ب- مشكلة البحث:

يُعتبر العصر الحجري الحديث في أي منطقة هو الفترة التي شهدت تغيرات في الاقتصاد وأنماط الاستقرار أطلق عليها العلماء مصطلح "حزمة العصر الحجري الحديث" The Neolithic Package التي ضمت استئناس الحيوان والنبات والاستقرار وظهور الفخار.^(١١) لكن بعض المجتمعات التي مارست الجمع والالتقاط، وليس الزراعة، مثل سكان شرق الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث الصحراوي في مصر والساحل الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية خلال عصور ما قبل التاريخ عرفت الاستقرار.^(١٢) يحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات التالية: ماهي المجتمعات التي عرفت التركيب الاجتماعي في مصر وأمريكا الشمالية دون معرفة الزراعة؟ وما هي ظروف ظهور ذلك التركيب؟ وهل عرفت تلك المجتمعات الفخار؟ وذلك بغرض الوصول لفكرة عامة عن هذه المجتمعات واستخدامها للفخار.

ج- أهداف الدراسة:

لا يهتم علم الآثار بتحديد سبل العيش والحصول على الغذاء من أجل معرفة ما كان يفتاق عليه الإنسان فحسب، بل يهدف أيضا إلى التعرف على البيئة والسياق الذي عاش فيه هذا الإنسان، وكيف أثر ذلك على سلوكياته الحضارية والاجتماعية.^(١٣) وهذا هو ما تهدف إليه هذه الدراسة، هذا بالإضافة إلى حاجة المكتبة العربية لمزيد من الدراسات التي تتناول عصور ما قبل التاريخ في

(7) K. M. Ames, Tempo and Scale in the Evolution of Social Complexity in Western North America, p. 56-57.

(8) R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 332.

(9) C. Scarre, The World Transformed, p. 190.

(10) B. M. Fagan, Ancient Lives, p.123-126.

(11) J. J. Emmitt, The Neolithic Pottery of Egypt, p. 1.

(12) C. Scarre, The World Transformed, p. 190.

(13) E. Chilton, Farming and Social Complexity in the Northeast, p. 140-141.

الأمريكتين، نظراً لندرة توفرها باللغة العربية كما يتبين من قائمة المراجع الملحقة بهذا البحث.

د- الدراسة:

١- العصر الحجري الحديث الصحراوي والمجتمعات ذات التركيب الاجتماعي (***) الغير قائم على الزراعة في مصر:

ترجع أقدم دلائل على وجود تباين بين الأفراد في مصر إلى العصر الحجري القديم^(١٤) كما توجد دلائل على زيادة الاعتماد على الغذاء النباتي منذ عصر البليستوسين المتأخر في كوم أمبو والكوبانية، يتمثل ذلك في وجود كم هائل من مجارش الحبوب وأحجار الطحن^(١٥) ويعتبر ذلك من سمات بدايات التركيب الاجتماعي، وهو مرتبط أيضاً بزيادة السكان^(١٦) ومع بداية الهولوسين في منطقة النبتة - والتي اكتسبت إسمها من شجرة صغيرة، أي نبتة، بجوار جبل موجود بها - في الصحراء الغربية زادت عملية جمع البذور البرية، مما أدى إلى نوع من الاستقرار الموسمي في البداية، ثم أصبح مستديماً بمرور الوقت وتزامن ذلك مع ظهور أقدم فخار في مصر وقارة أفريقيا كافة، وذلك دون الاهتداء للزراعة^(١٧) وهذه الفترة التي سكن فيها الإنسان الصحراء قبل هجرته الدائمة إلى وادي النيل يُطلق عليها العلماء مسمى "العصر الحجري الحديث الصحراوي".

يضم العصر الحجري الحديث الصحراوي أربعة مراحل تصنف كالتالي: العصر الحجري الحديث المبكر والعصر الحجري الحديث الصحراوي الأوسط والعصر الحجري الحديث المتأخر والعصر الحجري الحديث الصحراوي النهائي، تم تحديدها على أساس التشابه في طرز اللقى الأثرية كالفخار، ويفصل هذه المراحل عن بعضها فترات تميزت بالجفاف الشديد الذي كان عائقاً للعيش في الصحراء^(١٨).

(***) اقتصر السواد الأعظم من دراسات التركيب الاجتماعي خلال ما قبل التاريخ في مصر على فترات العصر الحجري الحديث في وادي النيل منذ مرمدة بني سلامة ومروراً بالعصر الحجري النحاسي ثم عصر ما قبل الأسرات، إلا هذه الدراسة تتعرض للإشارات الدالة على التركيب الاجتماعي قبل ذلك. للمزيد عن التركيب الاجتماعي في مصر قبل الدولة القديمة راجع E. C. Köhler, Theories of State Formation, pp. 42-46

(14) E. C. Köhler, Theories of State Formation, p. 43.

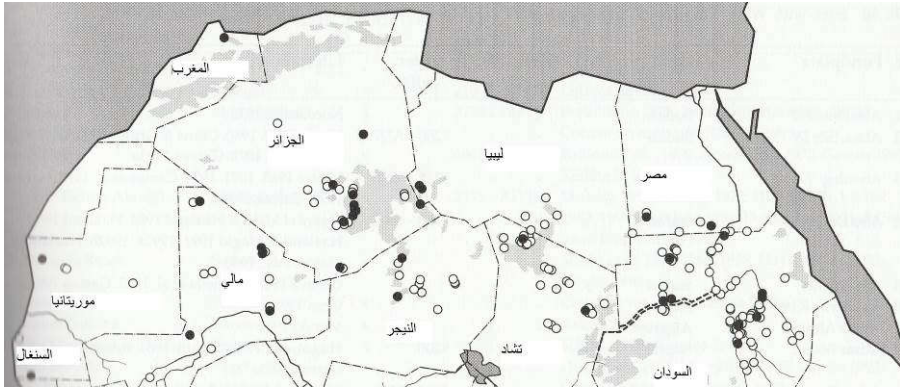
(15) R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 444.

(16) P. Rowley-Conwy, Time, Change and the Archaeology of Hunter-Gatherers, p. 45.

(17) K. Nelson and E. Khalifa, Nabta Playa Black-Topped Pottery, p. 689; E. Khalifa, Ceramic Analysis, p. 6.

(18) F. Wendorf and R. Schild, Introduction, p. 649-650.

شهد العصر الحجري الحديث الصحراوي المبكر (٩٨٠٠-٧٥٠٠ قبل الآن) استئناس الماشية وظهور الفخار دون معرفة الزراعة^(١٩) على الرغم من أن زيادة جمع النباتات البرية التي كانت تنمو حول البحيرات، التي تكونت بفعل الأمطار الموسمية في المنطقة، قد وفر مصدراً كافياً للغذاء وفائضاً منه، إلا أن حاجة الإنسان لمصدر للطعام يمكن التحكم فيه والتنبؤ به دفع الإنسان لإستئناس الماشية في الصحراء الغربية خلال تلك الفترة^(٢٠). وقد ظهر خلال تلك الفترة الفخار ذو الخطوط المموجة الذي أصبح ظاهرة سرعان ما انتشرت في كل شمال أفريقيا (شكل رقم ٢).^(٢١)



شكل رقم (٢): خريطة توضح مناطق انتشار الفخار ذي الخطوط المموجة في شمال أفريقيا

تعريب وتعديل الباحثة نقلاً عن: F. Jesse 2003

لم يتم الكشف عن منطقة النبتة إلا عام ١٩٧٣، وقد نتج عن ذلك ظن العلماء أن الزراعة والتركيب الاجتماعي قد اتيا إلى وادي النيل خلال العصر الحجري الحديث من منطقة جنوب غرب اسيا^(٢٢) سرعان ما تغير الرأي السابق باكتشاف الاستعمار البشري لتلك المنطقة خلال عصر الهولوسين، والتي لم يظهر بها التركيب الاجتماعي^(٢٣) بشكل واضح إلا مع بداية العصر الحجري الحديث الصحراوي

(19) A. Gautier, Animal Domestication in North Africa, pp. 75-89.

(20) F. Marshall and E. Hildebrand, Cattle Before Crops, p. 99-145.

(21) M. Jórdeczka et ali, Early Holocene Pottery in the Western Desert of Egypt, p. 111; F. Jesse, Rahib 80/87, p. 197.

(22) F. Wendorf et ali, Tumuli, Cattle Burials and Society in the Eastern Sahara, p. 90.

(٢٣) للمزيد عن التركيب الاجتماعي في منطقة سبخة نبتة راجع

E. Khalifa, Ceramic Analysis of the Late and Final Neolithic Site of E-00-1 at Nabta Playa; F. Wendorf and J. M. Melville, The Megalith Alignments, pp. 489-502; F. Wendorf and R. Schild, Implications of Incipient Social Complexity, pp. 13-20.

المتأخر (٢٦٠٠-٥٨٠٠ قبل الآن) واستمر خلال العصر الحجري الحديث الصحراوي النهائي (٥٤٠٠-٤٨٠٠ قبل الآن).

فسرت دراسات التركيب الاجتماعي خلال عصور ما قبل التاريخ في منطقة جنوب غرب الولايات المتحدة ظهور مشروعات الري التي تتطلب تنظيمًا اجتماعيًا كدليل على وجود تركيب اجتماعي.^(٢٤) وتطبيق نفس النظرية على منطقة النبتة في الصحراء الغربية المصرية خلال العصر الحجري الحديث الصحراوي المتأخر يتبين توفر نفس الظروف، حيث عُثر على مجموعات من صخور الميغاليث ودوائر لحساب فصول السنة وقبور ركامية^(٢٥) لا بد وأن تطلبت تنظيمًا لا يكتمل إلا بوجود تركيب اجتماعي. وقد صاحب هذا التركيب الاجتماعي تطور ملحوظ في صناعة كل من الفخار^(٢٦) والأدوات الحجرية^(٢٧)، تمثل في ظهور صناعة أعلى جودة تطلبت تقنيات معقدة مثل الفخار ذي الحافة السوداء الذي ظهر لأول مرة في مصر خلال هذه الفترة.^(٢٨)

وقد استمر الوضع هكذا دون معرفة الزراعة حتى استحالت الحياة في الصحراء الغربية المصرية بعد أن حل الجفاف. أما أقدم دليل على بدايات الزراعة في مصر فيأتي من حضارة الفيوم،^(٢٩) حوالي ٤٥٠٠ ق.م.^(٣٠)

٢- وصول الإنسان العاقل لأمريكا الشمالية واهتدأه للزراعة:

وصل الإنسان العاقل للعالم الجديد عقب رحلة في أرجاء العالم القديم، ودخل أمريكا الشمالية منذ حوالي ٤٠ ألف سنة على أقصى تقدير، إذ تكثر المواقع الأثرية التي تعود لأقدم من ١٠ آلاف سنة في الأمريكتين^(٣١) (شكل رقم ٣).

⁽²⁴⁾ H. Maschner, Theories of Ranking and Social Inequality, p. 588.

⁽²⁵⁾ J. McKim Malville et alii, Megaliths and Neolithic Astronomy in Southern Egypt, pp. 488-491.

⁽²⁶⁾ E. Khalifa, Pottery of the Living and the Dead, pp. 14-30.

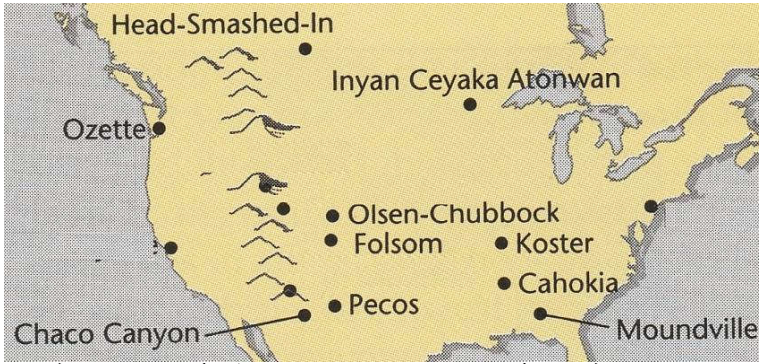
⁽²⁷⁾ E. Khalifa, Climate, Resources, Adaptation and Cultural Development, pp. 7-30.

⁽²⁸⁾ K. Nelson and E. Khalifa, Nabta Playa Black-topped Pottery, pp. 687-407.

⁽²⁹⁾ R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 445.

⁽³⁰⁾ V. Linseele et alii, The Earliest Phase of Introduction, p. 19.

⁽³¹⁾ P. Bellwood, First Farmers, p. 148; B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 276; E. Haury, The First Americans, p. 36; J. M. Roberts, Prehistory and the First Civilizations, p. 40.



شكل رقم (٣): خريطة تبين أشهر مواقع ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية التي ذكرت في البحث

تعديل الباحثة نقلاً عن: B. M. Fagan 2007

حولت الظروف المناخية عند وصول الإنسان إلى العالم الجديد مضيق برينج الذي يفصل بين سيبيريا وألاسكا إلى معبر أرضي يسمى برينجيا وفر ظروفاً بيئية ملائمة – وإن كانت قاسية – لعبور الفيل الصوفي المعروف بالمموث والحصان وثيران البيسون،^(٣٢) وقد اقترحت إحدى النظريات التي لا تلقى الكثير من القبول أن سبب التشابه بين الأدوات الحجرية في أمريكا الشمالية والسلوتيرية في أوروبا أن هجرة الإنسان العاقل قد تمت عبر المحيط الأطلسي.^(٣٣)

كان للكشف الاثري الذي عثر عليه في موقع فولسم Folsom بولاية نيو مكسيكو الأمريكية دوراً كبيراً في تأكيد قدم الاستعمار البشري للعالم الجديد،^(٣٤) إذ ضم رمحاً مخترقاً لعظام ثور البيسون، هذا بالإضافة للمأوى الصخري المعروف بميدوكروفت Meadowcroft rockshelter في بنسلفانيا^(٣٥) وكاكتيس هيل Cactus Hill في فيرجينيا وكهف فورت روك في أوريجون Fort Rock.^(٣٦) وعادة ما تتواجد مدببات

(32) J. M. Adovasio and D. Pedler, The Peopling of North America, p. 41; B. M. Fagan, People of the Earth, p.155; R. G. Klein, The Human Career, p. 389; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 147; D. H. Thomas and R. L. Kelly, Archaeology, p. 130.

(33) P. Pettitt, The Rise of Modern Humans, p. 166.

(34) J. M. Adovasio and D. Pedler, The Peopling of the North America, p. 45; B. M. Fagan, People of the Earth, p.171; B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 32; R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 242.

(35) J. M. Adovasio and D. Pedler, The Peopling of the America, p. 47; S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 53; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 148.

(36) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 277; S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 55; R. Lewing and R. A. Foley, Principles of Human Evolution, p. 493; P. Pettitt, The Rise of Modern Humans, p. 168-169; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 148.

كلوفيس في طبقات تحتوي على بقايا عظام ماموث مقطعة،^(٣٧) مما يشير إلى أنه خلال فترة كلوفيس كان الإنسان معتمداً على الجمع والالتقاط بالإضافة إلى الصيد.^(٣٨) منذ حوالي ١٢٥٠٠ عاماً تعرضت الحيوانات الضخمة للانقراض في أمريكا الشمالية، ربما بسبب الصيد الجائر.^(٣٩)

مع نهاية عصر البلايستوسين بدأ الجليد في الذوبان مما سمح بنمو المزيد من النباتات وزيادة انتشار الإنسان العاقل وزيادة عدد السكان،^(٤٠) وإن ظلت أمريكا الشمالية محدودة في كثافة السكان، التي لم تصل يوماً إلى ما كانت عليه في الصين أو المكسيك على سبيل المثال،^(٤١) باستثناء ألاسكا التي لم يُعثر فيها حتى الآن على أية مدببات من نوع كلوفيس.^(٤٢) هذا وتعتبر الفترة التي انتشرت فيها مدببات كلوفيس^(٤٣) هي آخر الثقافات التي إنتشرت بصورة واسعة شملت كافة مناطق أمريكا الشمالية.^(٤٤) وكان سبب التباين بين ثقافات مناطق أمريكا الشمالية عقب مرحلة كلوفيس هو التباين الشديد في الظروف الطبيعية من منطقة لأخرى، مما أدى إلى ظهور اختلافات محلية في الفترات التي تلتها منذ حوالي ١٠،٦٥٠ سنة ق.م.^(٤٥) وبحلول ٨٠٠٠ قبل الميلاد كانت أغلب مناطق قارتي أمريكا مأهولاً بدءاً من ألاسكا وحتى تيرا ديل فويجو في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية.^(٤٦) هذا ويُقسم العلماء مناطق أمريكا الشمالية إلى عدة مناطق حضارية هي: مناطق الغابات في الشرق والجنوب الشرقي، ومنطقة السهول، منطقة جنوب غرب الولايات المتحدة، وكاليفورنيا، والساحل الشمالي الغربي، وأخيراً دائرة القطب الشمالي.^(٤٧)

تعتبر منطقة جنوب غرب الولايات المتحدة هي المنطقة التي شهدت أعلى درجات التركيب الاجتماعي خلال عصور ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية، وذلك

(37) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 56.

(38) P. Pettitt, The Rise of Modern Humans, p. 171.

(39) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 60; P. Pettitt, The Rise of Modern Humans, p. 172.

(40) P. Pettitt, The Rise of Modern Humans, p. 173; C. Scarre, The World Transformed, p. 177.

(41) T. R. Pauketat and D. D. Loren, Alternative Histories and North American Archaeology, p. 4.

(42) J. M. Adovasio and D. Pedler, The Peopling of North America, p. 50.

(43) B. N. Fagan, Ancient Lives, p. 280-281; B. M. Fagan, People of the Earth, p. 165; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p.148.

(44) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 57-58.

(45) D. L. Browman et al., Origins of Food-Producing Economies in the Americas, p. 307.

(46) T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p.147.

(47) G. R. Milner and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 679-680.

من خلال ثقافة هوهوكوم Hohokom.^(٤٨) وتعتبر هذه المنطقة صحراوية جرداء اعتمدت على إنشاء شبكة ري منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة ق.م، كما ظهر الفخار خلال تلك الفترة.^(٤٩) وقد استفادت تلك المنطقة الشاسعة المساحة من التنوع البيئي الذي أدى لتعدد مصادر وأنواع الغذاء.^(٥٠) إلا أن استزراع الذرة قد لعب دوراً لا يقل أهمية في قيام التركيب الاجتماعي.^(٥١) وهذا ما يجعل تلك المنطقة الهامة حضارياً تخرج عن موضوع هذا البحث.

يعتبر موقع كوستر (شكل رقم ٣) من أقدم مواقع ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية،^(٥٢) حيث عُثر به على دفنات لكلاب مع دفنات أدمية تسبق معرفة الزراعة وترجع لحوالي ٦٥٠٠ ق.م.^(٥٣) ويوضح جدول رقم (١) باختصار مراحل عصور ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية خلال الهولوسين مع توضيح الامتداد الزمني لثقافات للصحراء الكبرى في مصر للتقريب والتسهيل على القارئ.

| | | | | | | | | | | | |
|-------------------|--------|--------|---------------|------|----------------|------|--------------|------|------|------|--------|
| 12,000BC | 11,000 | 10,000 | 9000 | 8000 | 7000 | 6000 | 5000 | 4000 | 3000 | 2000 | 1000BC |
| LATE PALEOINDIAN | | | EARLY ARCHAIC | | MIDDLE ARCHAIC | | LATE ARCHAIC | | | | |
| SAHARAN NEOLITHIC | | | | | | | | | | | |

جدول رقم (١): ويبين فترات زمن الهولوسين في أمريكا شمالية

مقارنة بالعصر الحجري الحديث الصحراوي في مصر

ظهرت الزراعة (إنظر الجدول السابق) في أمريكا الشمالية مع نهاية العصر العتيق الأوسط Middle Archaic وبداية العصر العتيق المتأخر. وهذا الأخير، كانت له سمات حضارية في أمريكا الشمالية تتلخص في: (أ) الميل إلى الاستقرار (ب) محاولات تصنيع للفخار (ج) الزراعة.^(٥٤) إلا أن بعض المناطق لم تتوصل للزراعة، إذ وفرت لها بيئتها مصدراً آخراً للطعام عوض سكانها عن الحاجة للاعتماد على النباتات التي تم استزراعها، وفي ما يلي إستعراض لتلك المناطق.

(48) L. Cordell, Archaeology of the Southwest; B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 378-379; P. S. Martin, Prehistoric Cultures of the American Southwest, p. 152-154.

(49) P. Bellwood, First Farmers, p. 151.

(50) D. K. Washburn, The American Southerwest, p. 103.

(51) G. R. Milner and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 692-694.

(52) T. R. Pauketat and D. D. Loren, Alternative Histories and North American Archaeology, p. 12.

(53) B. M. Fagan, Ancient Lives, pp. 69, 292; C. Scarre, The World Transformed, p. 183.

(54) T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 267.

٣- المجتمعات ذات التركيب الاجتماعي غير القائم على الزراعة في أمريكا الشمالية:

انتشرت في أمريكا الشمالية منذ عام ٢٠٠٠ ق.م. مجتمعات مركبة ذات تنوع شديد معتمدةً على السمات الجغرافية لكل منطقة، وكانت الزراعة بطبيعة الحال، هي المكون الأساسي لمعظم تلك المجتمعات باستثناء الساحل الشمالي الغربي الواقع على المحيط الهادي ومنطقة ألاسكا.^(٥٥) ويُقسم علماء الآثار المناطق الثقافية لعصور ما قبل التاريخ في أمريكا الشمالية تقسيماً جغرافياً (شكل رقم ٤) يشمل المناطق الواقعة في دائرة القطب الشمالي والمنطقة شبه قطبية، بالإضافة إلى الساحل الشمالي الغربي وسواحل كاليفورنيا وكلاهما على المحيط الهادي، كذلك منطقة جنوب غرب أمريكا الشمالية ومنطقة السهول والحوض العظيم – المعروفة أيضاً بمنطقة ما بين سلاسل الجبال – ومنطقة الشرق أو جنوب شرق أمريكا الشمالية.^(٥٦) وما نعرفه عن غرب أمريكا الشمالية خلال عصور ما قبل التاريخ يفوق بكثير في تفاصيله ما نعرفه عن شرقها وذلك نظراً للطبيعة الجافة للمناطق الغربية التي وفرت درجة من الحفظ للقي الأثرية.^(٥٧)

منطقة السهول The Plains: هي منطقة مستوية السطح، قاحلة، تفتقر للأشجار وتصعب فيها ممارسة الزراعة.^(٥٨) وعقب مرحلة مديبات كلوفيس عرفت منطقة السهول بالولايات المتحدة الأمريكية مديبات متعددة الأشكال كانت تستخدم جميعها في صيد ثيران البيسون والذي زادت اعداده بشكل كبير مع مع نهاية عصر البلايستوسين وانقرضت الحيوانات الضخمة، وقد عُثر على مواقع عديدة ترجع لتلك الفترة تضمنت كما هائلا من عظام البيسون أشهرها موقع Olsen-Chubbuck بولاية كولورادو الأمريكية^(٥٩) وموقع هيد سماند إن Headsmashed-in في ألبرتا بكندا (راجع شكل رقم ٣)، إلا أن تلك الحيوانات قد اختفت مع انتهاء تلك الحقبة بسبب الجفاف الشديد الذي أدى لنفوق ثيران البيسون.^(٦٠)

(55) B. M. Fagan, Ancient North America, p. 102; G. R. Milner and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 679.

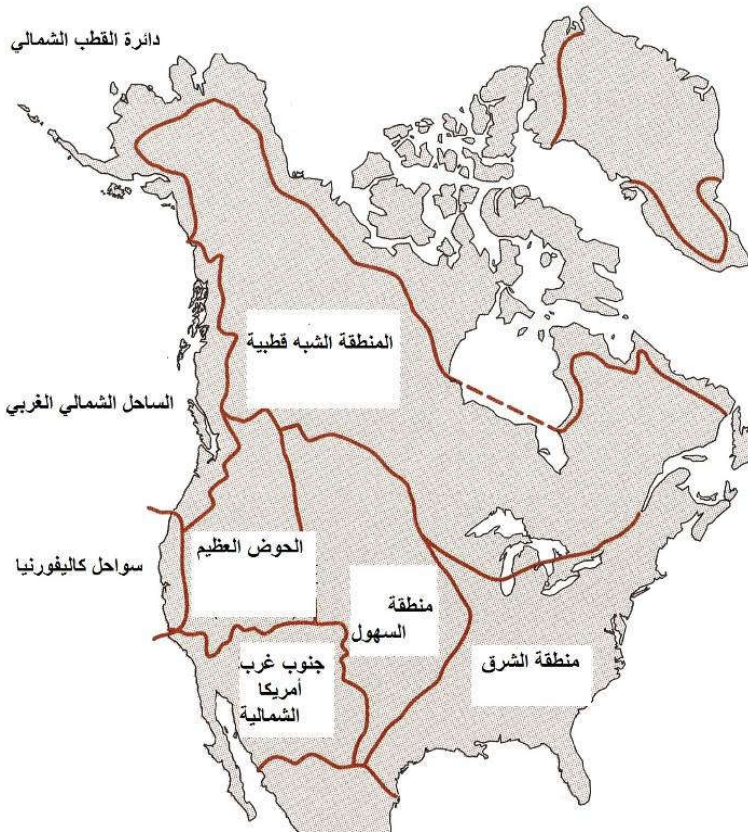
(56) D. H. Thomas and R. L. Kelly, Archaeology, p. 221.

(57) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 114.

(58) D. R. Henning, The Evolution of the Plains Village Tradition, p. 161.

(59) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 170; B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 104-106, 369-371; B. M. Fagan, In the Beginning, p. 165; S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 61 and p. 136.

(60) D. L. Browman et al., Origins of Food-Producing Economies in the Americas, p. 307-308, 331.



شكل رقم (٤): خريطة تبين المناطق الجغرافية لأمريكا الشمالية

نقلًا عن: D. H. Thomas and R. L. Kelly 2006

وفي الفترة منذ حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد مع تحول المناخ إلى ما يقرب مما هو عليه اليوم،^(٦١) كان موقع Boarding School بولاية مونتانا بالولايات المتحدة وموقع Gull Lake بوسط كندا يتم استخدامهما في صيد ثيران مما وفر فائضاً كبيراً خلال عصور ما قبل التاريخ، سمح بالتبادل مع مناطق أخرى تختلف في ما لديها من مصادر.^(٦٢) وتعتبر الفترة (العصر العتيق الأوسط) منذ ٢٩٠٠ ق. م، هي بداية لطرق جديدة للتكيف مع البيئة شملت أنواع جديدة من تقنيات صناعة الأدوات المستخدمة في الصيد ومعسكرات الإستقرار الموسمي.^(٦٣)

(61) R. G. Forbis, Eastern North America, p. 74.

(62) B. M. Fagan, Ancient North America, p. 135; C. Renfrew and P. Bahn, Archaeology, p. 276-277.

(63) B. M. Fagan, Ancient North America, p. 129.

ومع ظهور الفخار (حوالي ٥٠٠ ق. م.) بدأت المنطقة تشهد الإستقرار والذي تمثل في تحول السكان من الصيد إلى زراعة الذرة بشكل تدريجي، فتكونت القرى التي عرفت بإسم قرى منطقة السهول Plains Village والتي تبين اللقى الأثرية التي عثر عليها بها، وجود شبكة للتبادل التجاري مع منطقة جنوب شرق الولايات المتحدة.^(٦٤)

منطقة الحوض العظيم The Great Basin: هي المنطقة التي تشمل جنوب ووسط ولاية أوريغون وولايتي نيفادا ويوتاه وشرق ولاية كاليفورنيا وهي مناطق جافة، مما ساعد على حفظ العديد من مواقعها الأثرية والتي تمثلت في الغالب في المأوي الصخرية مثل لوف لوك Lovelock وهومبولت Humboldt في وسط نيفادا وكلاهما ترجع أقدم طبقاته لحوالي ٢٥٠٠ ق. م. وهي مناطق تعكس تركيباً اجتماعياً ليس قائماً على الزراعة بل على الطيور المائية والبذور البرية التي كانت متوفرة في المستنقعات المنتشرة بالمنطقة.^(٦٥) وتكمن الأهمية الأثرية لموقع لوف لوك في أنه كهف شهد استقراراً أغلب شهور السنة، على عكس معظم مناطق أمريكا الشمالية التي ظل يسكنها الصيادون حتى اكتشاف الأوروبيين للعالم الجديد.^(٦٦) وبالإضافة للمأوي الصخرية، عثر على العديد من المناطق على ضفاف البحيرات والأنهار الموجودة بالمنطقة.^(٦٧)

جنوب شرق أمريكا الشمالية: تعتبر هذه المنطقة هي الوحيدة في أمريكا الشمالية التي وصلت إلى درجة من التركيب الاجتماعي تقرب من منطقة جنوب غرب الولايات المتحدة. ظهرت في ولايات الجنوب الشرقي للولايات المتحدة (لويزيانا وميسيسيبي وفلوريدا) مجتمعات ذات تركيب اجتماعي اشتهر ببناء كتل ضخمة من الطمي يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار لها استخدام طقسي كانت تبنى من الطمي (شكل رقم ٥) في لويزيانا ومن الرمال والأصداف على سواحل فلوريدا.^(٦٨) في البداية كانت هذه الأكوام من المحار (٧٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ ق. م.).^(٦٩)

أشهر المواقع التي حوت أكوام أو تلال موقع جزيرة هور Horr's Island (٢٠٠٠-٣٠٠٠ ق. م.) بفلوريدا وكذلك موقعي واتسون بريك Watson Brake وبوفرتي بوينت Poverty Point (١٢٠٠-١٧٠٠ ق. م.) في لويزيانا اللذان يتميزان بوجود العديد من التلال الضخمة ذات مدرجات بنيت حول ساحة يبلغ طولها وصل

(64) G. R. Milner and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 704-706.

(65) D. L. Browman, Origins of Food-Producing Economies in the Americas, p. 333; D. H. Thomas and R. L. Kelly, Archaeology, p. 132; B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 372.

(66) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 172.

(67) H. T. Irwin, The Far West, p. 139.

(68) D. L. Browman, Origins of Food-Producing Economies in the Americas, p. 327.

(69) K. E. Sassaman, Structure and Practice in the Archaic Southeast, p. 88.

إلى ٨ كم في بعض الأحيان، من اللافت للنظر أن تلك التشييدات لا بد وأن تطلبت تنظيمياً يعكس إستقراراً وتركيباً إجتماعياً كبيراً وسلطة عليا،^(٧٠) إلا أنه لم يكن قائماً على الزراعة بل على التجارة.^(٧١)



شكل رقم (٥): كوم أثري بولاية مسيسيبي
تصوير الباحثة (٢٠٠٦)

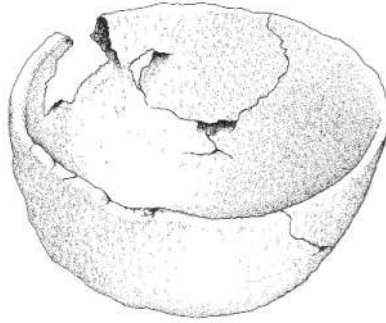
لم تكن الزراعة غائبة تماماً عن هذا الجزء من أمريكا الشمالية، إلا أن التركيب الاجتماعي الذي ظهر في هذه المنطقة وبالذات في بوفرتي بوينت كان معتمداً على الجمع بشكل أساسي إلى جانب التبادل التجاري هذا إلى جانب وجود الفخار المصنوع من طمي ممزوج بمواد عضوية كالألياف (شكل رقم ٦) عُثر عليها مع العديد من مجارش الحبوب التي كان يتم جمعها، بالإضافة إلى حفرات لتخزين الفائض عن الحاجة.^(٧٢) وخلال القرن الأول قبل الميلاد ازدادت أهمية الزراعة وأصبحت هي المصدر الرئيسي للعيش في موقع بوفرتي بوينت.^(٧٣)

⁽⁷⁰⁾ B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 126; S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 111.

⁽⁷¹⁾ D. L. Browman, Origins of Food-Producing Economies in the Americas, p. 329; R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 662.

⁽⁷²⁾ B. M. Fagan, People of the Earth, p. 350; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 270.

⁽⁷³⁾ T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 273.



شكل رقم (٦): إناء خشن من موقع بوفرتي بوينت من طمي مخلوط بالألياف

نقلًا عن: T. D. Price and G. M. Feinman 2008

خلال الألف الأول قبل الميلاد انتشرت تلك التلال التي بلغ ارتفاعها بضعة أمتار من منطقة البحيرات العظمى شمالاً وحتى جنوب شرق الولايات المتحدة فيما يعرف بثقافة أدينا Adena^(٧٤)، التي اعتمدت بشكل أساسي على الزراعة- على الرغم من استمرار التبادل التجاري-^(٧٥) وهو التحول إلى إنتاج الطعام الذي كان قد بدأ منذ الألف الثاني قبل الميلاد واستمر عقب فترة أدينا.

كانت أدينا قد تأثرت بالطفرات الحضارية التي كانت قد عرفتها بالفعل حضارات أمريكا الوسطى مثل الفخار الذي كان يتم خلط طميه أثناء الصناعة بالألياف النباتية.^(٧٦) بعد ذلك أصبحت تلك الأواني الفخارية تحاكي الأواني الحجرية في الشكل.^(٧٧) ويعتبر ظهور هذا النوع من الفخار هو الحد الفاصل بين العصر العتيق والمرحلة التالية المعروفة بفترة الغابات المبكرة Early Woodland.^(٧٨) كما أن استمرار ذلك النوع من الفخار بنفس طريقة الصنع يعكس تطوراً محلياً في الفترات التالية.^(٧٩) وقد اثبتت التحليلات الكيميائية لفخار الفترة اللاحقة أن تلك الأواني كانت تستخدم في طهي المنتجات البحرية،^(٨٠) والخضروات واللحوم والجوز.^(٨١) ويتميز هذا النوع من الفخار بأنه ذو جدران مستقيمة وسميكة وقاعدة مسطحة، كما كان يتم خلط طميه بالعديد من المواد المحسنة.^(٨٢)

(74) R. G. Forbis, Eastern North America, p. 81.

(75) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 351; R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 663-664.

(76) B. M. Fagan, Ancient North America, p. 422.

(77) R. G. Forbis, Eastern North America, p. 83.

(78) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 106.

(79) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 112.

(80) K. Taché and O. E. Craig, Cooperative Harvesting of Aquatic Resources, pp. 177-90.

(81) J. M. Skibo et al., Early Pottery, p. 1227.

(82) J. M. Skibo et al., Early Pottery, p. 1228.

تلت أدينا ثقافة هوبويل Hopewell التي خلفت وراءها واحدة من أشهر طرز الفخار في أمريكا الشمالية،^(٨٣) بالإضافة إلى العديد من القطع الحجرية والنحاسية ذات الجودة العالية في الصنع والتي كانت ضمن الاثاث الجنائزي.^(٨٤) ومن اللافت للنظر أن فخار هوبويل كان نادراً ما يستخدم كمتاع جنائزي، إذ ظل استخدامه قاصراً على الحياة اليومية والطقوس.^(٨٥) كان مجتمع هوبويل قد استفاد من أرهاصات الزراعة في الفترة ما بين ١٠٠ ق.م. و٤٠٠ م.، إلا أن الجمع والتبادل التجاري ظلا يلعبان دوراً رئيساً في الاقتصاد ليس فقط في موقع هوبويل ولكن في منطقة وسط غرب الولايات المتحدة Midwest بأكملها عن طريق شبكة واسعة الامتداد^(٨٦) (شكل رقم ٧) لتبادل المنتجات كالححاس من ولاية جورجيا وأسنان سمك القرش من سواحل خليج المكسيك والفضة من أونتاريو بكندا.^(٨٧) سهلت الطبيعة الجغرافية لشرق أمريكا الشمالية والتي تخلو من أية تضاريس تحول دون التواصل والانتقال وجود تلك الشبكة بين أطراف ما هو حالياً الولايات المتحدة وكندا.^(٨٨)



شكل رقم (٧): خريطة تبين شبكة التبادل التجاري التابعة لهوبويل والمنتجات الخاصة بكل منطقة

نقلاً عن: J. M. Allen and A. C. Shalinsky 2004

(83) G. R. Milner and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 681-691; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 267; R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 665-666.

(84) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 150, 384-386.

(85) R. G. Morgan, Mound Builders of the Eastern United States, p. 159.

(86) C. Renfrew and P. Bahn, Archaeology, p. 367.

(87) J. L. Allen and A. C. Shalinsky, Student Atlas of Anthropology, p. 49; R. G. Morgan, Builders of the Eastern United States, p.157; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 274-277.

(88) R. G. Forbis, Eastern North America, p. 75.

تعتبر أونتاريو في تلك الفترة ضمن الامتداد الحضاري للجنوب الشرقي وذلك نظراً وقوعها ضمن شبكة التبادل التجاري السالفة الذكر. وخلال القرن الأول الميلادي عاش سكان أونتاريو في قُرى تم اختيار مواقعها بعناية لتلائم صيد الأسماك الذي لعب دوراً أساسياً إلى جانب الجمع في توفير سبل العيش على الرغم من معرفة للزراعة التي ظلت مستخدمة على نطاق محدود في دريبر Draper في أونتاريو.^(٨٩) كذلك في موقع كوستر في ولاية إلينوي الأمريكية ما بين ٣٩٠٠ و ٢٨٠٠ ق.م. حين تكونت قرية استقر بها سكانها طوال العام اعتماداً على صيد الأسماك من نهر إلينوي والبحيرات والمستنقعات الموجودة في واديه والتي وفرت فائضاً من الطعام.^(٩٠)

ساحل المحيط الهادي بأمريكا الشمالية: عرفت العديد من مناطق كاليفورنيا الاستقرار اعتماداً على صيد سمك السالمون والذي تطلب ابتكار طرق عديدة لحفظ وتخزين الفائض،^(٩١) وقد كان أقدم تلك المجتمعات المستقرة ما ينتمي لثقافة ويندميلر Windmiller Tradition في دلتا كاليفورنيا والتي تميزت بثراء الجبانة بالمتاع الجنائزي.^(٩٢) وقد قام التركيب الاجتماعي في هذه المنطقة بين جماعات اعتمدت على الجمع والصيد وصيد الأسماك،^(٩٣) وذلك دون معرفة الزراعة أو الفخار.^(٩٤) شهدت هذه المنطقة مرحلتين للتطور الاجتماعي، الأولى في الفترة ما بين ١٨٠٠ و ٣٠٠ ق.م. أما الثانية فحدثت ما بين ٥٠٠ و ١٤٠٠ م.^(٩٥)

في منطقة سانتا-بربرا في جنوب كاليفورنيا تزامن ظهور التركيب الاجتماعي مع انتشار القوس والسهم خلال القرن الثاني عشر الميلادي وقلة الانتاج السمكي الذي أفسح المجال للمتطلعين للسلطة للتوصل إلى حل تمثل في خلق فائض يمكن تخزينه للتقليل من اخطار المجاعات، وقد سهل استخدام القوارب ذلك إذ سهل الصيد بعيداً عن الشاطئ ثم العودة للقرى الموجودة على الشاطئ والتي كانت مأهولة طوال العام مما يدل على الاستقرار.^(٩٦)

(89) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 292; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 292-295.

(90) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 176-177; S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 97.

(91) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 112.

(92) D. L. Browman, Origins of Food-Producing Economies in the Americas, p. 333.

(93) G. R. Miller and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 706.

(94) H. T. Irwin, The Far West, p. 155.

(95) K. M. Ames, Tempo and Scale in the Evolution of Social Complexities in Western North America, p. 69.

(96) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 173; G. R. Miller and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 706.

في الساحل الشمالي الغربي تكونت قرى، في الفترة المعروفة بالهادي الأوسط Middle Pacific (١٨٠٠ ق.م.-٥٠٠ م.) حوت مباني مستطيلة، وقد كانت أسماك السلمون هي المصدر الأساسي للطعام والتي كان يتم حفظها عن طريق التجفيف، بالإضافة إلى التبادل التجاري مع المناطق الأخرى، بما في ذلك مواقع في قارة آسيا والتي كان يتم استيراد الحديد منها.^(٩٧) وتشتهر مواقع تلك المنطقة مثل موقع أوزيت (Ozette) بوجود ما يعرف بعمود الطوطم (شكل رقم ٨).

يقع موقع أوزيت في أقصى الشمال الغربي للولايات المتحدة في ولاية واشنطن (أنظر شكل رقم ٣)، وهو عبارة عن قرية شهدت زهاء عام ٥٠٠ ق.م. ظهور تركيباً إجتماعياً ملحوظاً في السجل الأثري الذي ظل مطموراً أسفل طبقات الطمي المنهارة، مما حفظ البقايا الأثرية.^(٩٨) وقد وفرت الظروف البيئية درجة من الحفظ عالية حمت العديد من المواد العضوية من التحلل.^(٩٩) كان سكان تلك القرى الأوائل (حوالي ٨٠٠٠ ق.م.) من الصيادين، إلا أنهم بدأوا حوالي ٣٠٠٠ ق.م. في الاعتماد بشكل أساسي على الأحياء المائية، وقد أستفادوا من الأشجار اليافة التي تنمو بشكل طبيعي في المنطقة في بناء قوارب الصيد والمنازل والتي بلغ مساحتها أى المنازل ٢٠ م x ١٠ م في القرية التي وصل إمتدادها في بعض الأحوال إلى أكثر من كم واحد على ساحل المحيط.^(١٠٠) وجديراً بالذكر أن صيد الحيتان كان حكراً على الطبقة العليا فقط من ذلك المجتمع الذي عرف التركيب الاجتماعي إعتماًداً على خيرات المحيط الهادي.^(١٠١)

(97) G. R. Miller and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 708.

(98) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 44; B. M. Fagan, In the Beginning, p. 138; T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 268; D. H. Thomas and R. L. Kelly, Archaeology, p.133.

(99) C. Renfrew and P. Bahn, Archaeology, p. 56-57.

(100) T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 307-310; D. H. Thomas and R. L. Kelly, Archaeology, p.133.

(101) T. D. Price and G. M. Feinman, Images of the Past, p. 308.



شكل رقم (٨): عمود طوظم من متحف جامعة بريتش كولومبيا بكندا

تصوير الباحثة (٢٠٠٨)

مناطق الدائرة القطبية الشمالية والدائرة الشبه قطبية: يقصد بها دائرة العرض التي تحيط بالقطب الشمالي، والدائرة الواقعة إلى الجنوب منها مباشرة، وهي مناطق غابات التاندراممتدة من ألاسكا حتى جرينلاند، التي تفتقر إلى الأشجار وتتميز بالبرد القارس.^(١٠٢) انتشر في هذه المنطقة جماعات ذات تركيب إجتماعي اعتمد على صيد الحيوانات كالوعل والأسماك خصوصاً الضخمة كالحيتان،^(١٠٣) مثل جماعات الإنويت Inuit ثقافات الدورست Dorset (منذ ٥٠٠ ق.م.) والتولي Thule (منذ ١٠٠٠ م.) بينما باءت محاولات الزراعة التي قامت بها جماعات النورس Norse للاعتماد عليها في العيش بالفشل.^(١٠٤) وجدير بالذكر أن انتشار وهيمنة ثقافة التولي باتجاه الشرق منذ حوالي ١٠٠٠ م. كان مرتبطاً بالتوسع في صيد الحيثان.^(١٠٥) وفي لابرادور في أقصى شمال شرق كندا خلال الفترة من ٤٣٠٠ إلى ٣٦٠٠ سنة مضت قامت جماعات Aillik ببناء تجمعات سكنية تعكس تركيباً إجتماعياً كبيراً، إلا أن هذا التركيب الاجتماعي سرعان ما اختفى مع بداية فترة

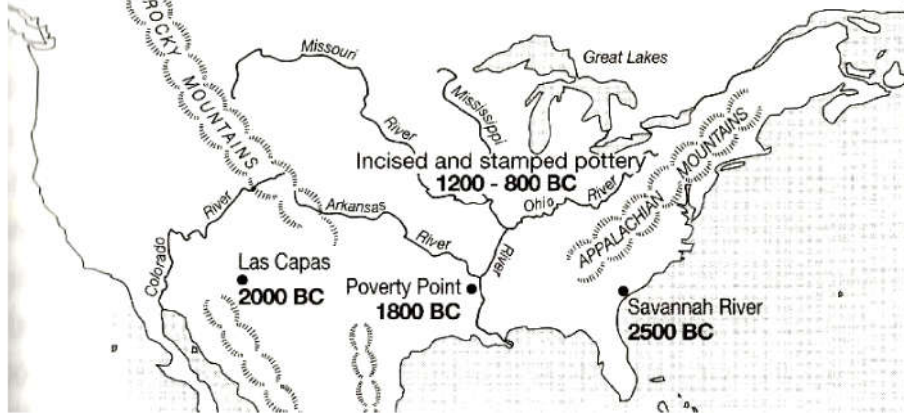
⁽¹⁰²⁾ S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, P. 141.

⁽¹⁰³⁾ B. M. Fagan, In the Beginning, p. 144; B. M. Fagan, Ancient North America, p. 192.

⁽¹⁰⁴⁾ B. M. Fagan, People of the Earth, p. 181; G. R. Miller and W. H. Wills, Complex Societies of North America, p. 710.

⁽¹⁰⁵⁾ S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 203.

الباليواسكيمو اللاحقة^(١٠٦) ويعتبر انتشار الفخار المخلوط بالألياف النباتية حوالي ٧٠٠ ق.م. دليلاً على عدم ارتباط الفخار بالزراعة أو الاستقرار^(١٠٧). يوضح شكل رقم ٩ أقدم مناطق ظهور الفخار في أمريكا الشمالية.



شكل رقم (٩): خريطة تبين أقدم ظهور للفخار في أمريكا الشمالية

نقلاً عن: P. Bellwood 2006

هـ - نتائج الدراسة:

على عكس العالم القديم، لم يكن التحول إلى إنتاج الطعام في العالم الجديد نقطة فاصلة وذلك نظراً لتأخر استئناس الحيوان في الأمريكتين^(١٠٨). بدأ سكان أمريكا الشمالية في الاتجاه نحو الاستقرار حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م. حين بدأت تلك الجماعات في دفن موتاهم مع كم كبير من المتاع الجنائزي وهذه إحدى سمات المجتمعات ذات التركيب الاجتماعي^(١٠٩). وقد شهدت قارتي أمريكا مع التحول لإنتاج الغذاء ثقافات محلية يقتصر انتشارها على مناطق محدودة^(١١٠). لهذا وجب تفسير ظهور الفخار أو الاتجاه إلى الاستقرار طبقاً لما هو موجود في البيئة المحلية لكل منطقة على حدى^(١١١).

تعكس زيادة السكان التي حدثت خلال العصر العتيق في أمريكا الشمالية تغيرات في البيئة وأدوات وسبل العيش والاستقرار حققت وفرة في الطعام، ومع سيطرة فئة

(106) P. Rowley-Conwy, Time, Change, and the Archaeology of Hunter-Gatherers, p. 56.

(107) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 148.

(108) P. Bellwood, First Farmers, p. 146.

(109) R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 661.

(110) P. Bellwood, First Farmers, p. 150.

(111) T. R. Pauketat and D. D. Loren, Alternative Histories and North American Archaeology, p. 15-16.

بعينها أصبح هناك تنظيماً للعمل وإعادة توزيع للثروات ومظاهر الترف،^(١١٢) فيما يفسر على أنه تركيب إجتماعي. وواحدة من سمات المجتمعات المركبة هي تشييد مباني ضخمة يشارك في بنائها عدد من أفراد المجتمع،^(١١٣) وهو ما عرضه هذا البحث في صورة تلال جنوب الشرق في الولايات المتحدة أو الميجاليث الموجود في سبخة نبتة خلال العصر الحجري الحديث الصحراوي المتأخر والنهائي والتي ظهر بعضها في مجتمعات لا تعتمد على الزراعة كمصدر أساسي للغذاء.

وقد اقتصر الكثافة السكانية العالية في شمال أمريكا على المناطق التي اعتمد سكانها على أسماك السالمون في الشمال الغربي.^(١١٤) لذا يمكن القول أن ظهور القرى الممتدة الأطراف خلال عصور ما قبل التاريخ في كاليفورنيا والساحل الغربي لأمريكا الشمالية دليل على أن التركيب الاجتماعي ليس مرتبطاً بالزراعة فقط، كما أن أول ظهور للفخار في هذا الجزء من العالم كان بين جماعات غير مستقرة وهي أيضاً لم تكن تعرف الزراعة.^(١١٥)

التركيب الاجتماعي بين الصيادين الجامعين اعتمد بشكل أساسي على الموارد المائية، مثل ما حدث في سواحل المحيط الهادي في أمريكا الشمالية سواء في كاليفورنيا أو ألاسكا^(١١٦) وشمال أوروبا وبعض مناطق بيرو.^(١١٧) وقد خرج علماء الآثار علينا برؤيتين في هذا الإطار: الأولى^(١١٨) تنظر للمحيط كجثة توفر الطعام بينما الثانية^(١١٩) ترى في الاتجاه للمحيط بأنه محاولة لملئ الفراغ الناتج عن نقص الطعام على الأرض.^(١٢٠)

وفي جنوب شرق الولايات المتحدة ظهر الفخار حوالي عام ٢٥٠٠ ق. م. وهو من طمي مضاف له ألياف نباتية،^(١٢١) أما فخار هوبويل فهو مصنوع على يد متخصصين.^(١٢٢) وفي مصر يعتبر التخصص في الصناعات، وخصوصاً الفخار، جزء من التركيب الاجتماعي خلال العصر الحجري الحديث،^(١٢٣) وقد ظهرت

(112) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 177-178.

(113) R. J. Wenke, Patterns in Prehistory, p. 347.

(114) T. R. Pauketat and D. D. Loren, Alternative Histories and North American Archaeology, p. 4.

(115) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 162.

(116) S. J. Fiedel, Prehistory of the Americas, p. 136.

(117) B. M. Fagan, Ancient Lives, p. 291.

(118) L. R. Binford, In Pursuit of the Past.

(119) C. Gamble, The Mesolithic Sandwich.

(120) B. M. Fagan, People of the Earth, p. 224.

(121) P. Bellwood, First Farmers, p. 158.

(122) R. G. Morgan, Mound Builders of the Eastern United States, p. 160.

(123) S. Hendrickx, Crafts and Craft Specialization, pp. 93-ff.

بدايات هذا التخصص في النبتة مع بداية العصر الحجري الحديث الصحراوي المتأخر.^(١٢٤)

و في غرب أمريكا الشمالية ظهر التكثيف في إنتاج الغذاء قبل التركيب الاجتماعي بحوالي ٢٠٠٠ عام لكن هناك أدلة على أن قيام التركيب الاجتماعي يعتمد بشكل أساسي على التغيير التقني والاجتماعي بالإضافة إلى التغيير في الظروف المناخية.^(١٢٥) هذا وقد لعب التطور التقني وامتداد صيد ثيران البيسون دوراً في التركيب الذي ظهر في منطقة السهول عندما حل استخدام القوس والسهم محل الرمح.^(١٢٦)

لا يقتصر ظهور الاستقرار دون زراعة على أمريكا الشمالية ومصر فقط، فهناك حضارة الجومون في اليابان والتي تعتبر من أقدم المناطق التي شهدت ظهور الأواني الفخارية وكهف ديان Dayan في الصين وكوك فانوم دي Khok Phanom في تايلاند والذي عرف الاستقرار بين مجتمعات اعتمدت على الموارد المائية كالحيتان والسماك،^(١٢٧) ويمكن نتائج البحث في الجدول رقم ٢.

| مسلسل | المنطقة | تركيب اجتماعي قائم على | الفخار | الاستقرار |
|-------|-------------------------------------|--|---------------------|-----------------------|
| ١ | سبخة نبتة في مصر | تكثيف جمع الحبوب البرية واستئناس الحيوان | ✓ | ✓ |
| ٢ | منطقة السهول بأمريكا الشمالية | صيد ثيران البيسون | × ظهر مع الزراعة | ✓ موسمي في البداية |
| ٣ | منطقة الحوض العظيم بأمريكا الشمالية | طيور مائية وبذور برية | -- | ✓ معظم السنة |
| ٤ | جنوب شرق أمريكا الشمالية | تبادل تجاري | ✓ | ✓ |
| ٥ | ساحل المحيط الهادي بأمريكا الشمالية | صيد بحري | × | ✓ |
| ٦ | الدائرة القطبية | صيد بحري خاصة الأسماك الضخمة كالحيتان | ✓ | ✓ |

جدول رقم (٢): مقارنة بين سبخة نبتة في مصر ومناطق أمريكا الشمالية

⁽¹²⁴⁾ K. Nelson and E. Khalifa, Nabta Playa Black-topped Pottery, pp. 699-700.

⁽¹²⁵⁾ K. M. Ames, Tempo and Scale in the Evolution of Social Complexity in Western North America, p. 70.

⁽¹²⁶⁾ D. R. Henning, The Evolution of the Plains Village Tradition, p. 161 and 179.

⁽¹²⁷⁾ C. Higham, East Asian Agriculture and its Impact, p.260.

ثبت المراجع:
المراجع الأجنبية:

- J. M. ADOVASIO AND D. PEDLER**, "The Peopling of North America" in: North American Archaeology, edited by T. R. Pauketat and D. D. Loren, Blackwell Publishing, Oxford, 2005, pp. 30-55.
- J. L. ALLEN AND A. C. SHALINSKY**, Student Atlas of Anthropology, McGraw-Hill, Ohio, 2004.
- K. M. AMES**, "Tempo and Scale in the Evolution of Social Complexity in Western North America: Four Case Studies" in: North American Archaeology, edited by T. R. Pauketat and D. D. Loren, Blackwell Publishing, Oxford, 2005, pp. 56-78.
- P. BELLWOOD**, First Farmers: The Origins of Agricultural Societies, Blackwell Publishing, Oxford, 2006.
- L. R. BINFORD**, In Pursuit of the Past, Thames and Hudson, London, 1983.
- D. L. BROWMAN, G. J. FRITZ AND P. J. WATSON**, "Origins of Food-Producing Economies in the Americas", in: The Human Past-World Prehistory and the Development of Human Societies, edited by C. Scarre, Thames and Hudson, London, 2005, pp. 306-349.
- E. CHILTON**, "Farming and Social Complexity in the Northeast", in: North American Archaeology, edited by T. R. Pauketat and D. D. Loren, Blackwell Publishing, Oxford, 2005, pp. 138-160.
- L. CORDELL**, Archaeology of the Southwest, Academic Press, San Diego, Second Edition, 1997.
- J.J. EMMITT**, The Neolithic Pottery of Egypt: Investigating Settlement Pattern in Middle Holocene Northeast Africa with Ceramics, Unpublished PhD Thesis, Auckland, 2017.
- B. M. FAGAN**, In the Beginning: An Introduction to Archaeology, Harper Collins College Publishers, New York, Eighth Edition, 1994.
- , People of the Earth: An Introduction to World Prehistory, Prentice Hall, New Jersey, Tenth Edition, 2001.
- , Ancient North America: The Archaeology of a Continent, Thames and Hudson, New York, Fourth Edition, 2005.
- , Ancient Lives: An Introduction to Archaeology and Prehistory, Pearson Prentice Hall, New Jersey, Third Edition, 2007.
- S. J. FIEDEL**, Prehistory of the Americas, Cambridge University Press, Cambridge, 1988.
- R. G. FORBIS**, "Eastern North America", in: North America, edited by S. Gorenstein et al., St. Martin's Press, New York, 1975, p. 74-102.
- M. FRIED**, The Evolution of Political Society: An Essay in Political Anthropology, Random House, New York, 1967.
- C. GAMBLE**, "The Mesolithic Sandwich", in: Hunters in Transition, edited by Marek Zvelebil, Cambridge University Press, Cambridge, 1986, pp. 33-42.

- A. GAUTIER**, “Animal Domestication in North Africa”, in *Aridity, Change and Conflict in Africa. Proceedings of an International ACACIA Conference held at Köngswinter, Germa, October 1-3, 2003*, edited by M. Bolling, O. Bubenzer, R. Vogelsang and H-P. Wotzka, Heinrich-Barth-Institut, Köln, 2007, pp. 75-89.
- R. B. GRABER, R. R. SKELTON, R. M. ROWLETT, R. KEPHART AND S. L. BROWN**, *Meeting Anthropology Phase to Phase*, Carolina Academic Press, North Carolina, 2000.
- E. HAURY**, “The First Americans”, in *Man Before History*, edited by C. Gabel, Prentice Hall, Inc, New Jersey, 1964, pp. 36-39.
- S. HENDRICKX**, “Crafts and Craft Specialization”, in *Before the Pyramids*, edited by E. Teeter, Oriental Institute Museum Publications, Chicago, 2011, pp. 93-98.
- D. R. HENNING**, “The Evolution of the Plains Village Tradition”, in: *North American Archaeology*, edited by T. R. Pauketat and D. D. Loren, Blackwell Publishing, Oxford, 2005, pp. 161-186.
- C. HIGHAM**, “East Asian Agriculture and its Impact”, in: *The Human Past-World Prehistory and the Development of Human Societies*, edited by C. Scarre, Thames and Hudson, London, 2005, pp. 234-263.
- H. T. IRWIN**, “The Far West”, in: *North America*, edited by S. Gorenstein et al., St. Martin’s Press, New York, 1975, p. 133-164.
- F. JESSE**, *Rahib 80/87 Ein Wavy-Line-Fundplatz im Wadi Howar und die früheste Keramik in Nordafrika*, *Africa Praehistorica* 16, Heinrich-Barth-Institut, Köln, 2003.
- M. JÓRDECZKA ET ALI**, “Early Holocene Pottery in the Western Desert of Egypt: New Data from the Nabta Playa”, in *Antiquity* 85, 2011, pp. 99-115.
- E. KHALIFA**, *Ceramic Analysis of the Late and Final Neolithic Site of E-00-1: A Reflection of the Origins of Social Complexity in the Ancient Egyptian Civilization*, Unpublished PhD Dissertation, Tulane University, New Orleans, USA, 2012.
- , “Climate, Resources, Adaptation and Cultural Development: A Study of the Lithics Assemblage from Site E—0-1, Nabta Playa, Egypt”, in: *Cahiers Caribéens d’Égyptologie* 17, 2013, pp. 7-30.
- , “Pottery of the Living and the Dead: Final Neolithic Assemblages and Complexity at Nabta Playa Revisited”, in: *Revista de la Sociedad Uruguaya de Egyptologie* 32, 2015, pp. 14-30.
- R. G. KLEIN**, *The Human Career: Human Biological and Cultural Origins*, University of Chicago Press, Chicago, 1989.
- E. C. KÖHLER**, “Theories of State Formation”, in: *Egyptian Archaeology*, edited by W. Wendrich, Wiley Blackwell, Oxford, 2010, pp. 36-54.
- R. LEWIN AND R. A. FOLEY**, *Principles of Human Evolution*, Blackwell Publishing, London, Second Edition, 2004.

- V. LINSEELE ET ALI**, "The Earliest Phase of Introduction of Southwestern Asian Domesticates into Africa. New Evidence from the Fayum Oasis in Egypt and its Implications", in: *Quaternary International* 412(B), 2016, pp. 11-21.
- F. MARSHALL AND E. HILDEBRAND**, "Cattle Before Crops: The Beginning of Food Production in Africa", in *Journal of World Prehistory* 16(2), 2002, pp. 99-145.
- P. S. MARTIN**, "Prehistoric Cultures of the American Southwest", in *Man Before History*, edited by C. Gabel, Prentice Hall, Inc, New Jersey, 1964, pp. 149-156.
- H. D. G. MASCHNER**, "Theories of Ranking and Social Inequality", in *The Oxford Companion to Archaeology*, edited by B. M. Fagan, Oxford University Press, New York, 1996, pp. 587-588.
- J. MCKIM MALVILLE ET ALI**, "Megaliths and Neolithic Astronomy in Southern Egypt", in : *Nature* 392(2), 1998, pp.488-491.
- G. R. MILNER AND W. H. WILLS**, "Complex Societies of North America" in: *The Human Past-World Prehistory and the Development of Human Societies*, edited by C. Scarre, Thames and Hudson, London, 2005, pp. 678-715.
- R. G. MORGAN**, "Mound Builders of the Eastern United States", in *Man Before History*, edited by C. Gabel, Prentice Hall, Inc, New Jersey, pp. 157-165.
- K. NELSON AND E. KHALIFA**, "Nabta Playa Black-topped Pottery: Technological Innovation and Social Change", in *Egypt at its Origins 3, Proceedings of the Third International Conference "Origin of the State. Predynastic and Early Dynastic Egypt"*, London, 27th July – 1st August 2008, edited by R. F. Friedman and P. N. Fiske, Peeters Publishers, Leuven, OLA 205, 2011, pp. 687-704.
- T. R. PAUKETAT AND D. D. LOREN**, " Alternative Histories and North American Archaeology", in: *North American Archaeology*, edited by T. R. Pauketat and D. D. Loren, Blackwell Publishing, Oxford, 2005, pp. 1-29.
- P. PETTITT**, "The Rise of Modern Humans", in: *The Human Past-World Prehistory and the Development of Human Societies*, edited by C. Scarre, Thames and Hudson, London, 2005, pp. 124-173.
- T. D. PRICE AND G. M. FEINMAN**, *Images of the Past*, McGraw Hill, Boston, Fifth Edition, 2008.
- C. RENFREW AND P. BAHN**, *Archaeology: Theories, Methods, and Practice*, Thames and Hudson, New York, Second Edition, 1997.
- J. M. ROBERTS**, *Prehistory and the First Civilizations, The Illustrated History of the World-Volume 1*, Oxford University Press, New York, 1999.
- P. ROWLEY-CONWY**, "Time, Change, and the Archaeology of Hunter-Gatherers: How Original is the 'Original Affluent Society'?", in *Hunter-Gatherers: An Interdisciplinary Perspective*, edited by C. Panter-Brick, R. H. Layton and P. Rowly-Conwy, Cambridge University Press, Cambridge, 2003, pp. 39-72.
- K. E. SASSAMAN**, "Structure and Practice in the Archaic Southeast", in: *North American Archaeology*, edited by T. R. Pauketat and D. D. Loren, Blackwell Publishing, Oxford, 2005, pp. 79-107.

C. SCARRE, “The World Transformed: From Foragers and Farmers to States and Empires”, in: *The Human Past-World Prehistory and the Development of Human Societies*, edited by C. Scarre, Thames and Hudson, London, 2005, pp. 176-200.

E. SERVICE, *Primitive Social Organization: An Evolutionary Perspective*, Random House, New York, 1962.

J. M. SKIBO, M. E. MALAINERY AND S. M. KOOIMAN, “Early Pottery in the North American Upper Great Lakes: exploring traces of use”, in *Antiquity* 90 353, 2016, pp. 1226-1237.

K. TACHÉ AND O. E. CRAIG, “Cooperative Harvesting of Aquatic Resources and the Beginning of Pottery Production in north-eastern North America”, in: *Antiquity*, 2015, pp. 177-190.

D. H. THOMAS AND R. L. KELLY, *Archaeology*, Thomson Wadsworth, Belmont, Fourth Edition, 2006.

D. K. WASHBURN, “The American Southwest”, in: *North America*, edited by S. Gorenstein et al., St. Martin’s Press, New York, 1975, pp. 103-132.

F. WENDORF AND J. M. MELVILLE, “The Megalith Alignments”, in: *Holocene Settlement in the Egyptian Sahara, Vol. I, The Archaeology of Nabta Playa*, edited by F. Wendorf, R. Schild, and Associated, Kluwer Academic Press, 2001, pp. 489-502.

F. WENDORF AND R. SCHILD, “Conclusions”, in: *Holocene Settlement in the Egyptian Sahara, Vol. I, The Archaeology of Nabta Playa*, edited by F. Wendorf, R. Schild, and Associated, Kluwer Academic Press, 2001, pp. 648-675.

-----, “Implications of Incipient Social Complexity in the Late Neolithic in the Egyptian Sahara”, in: *Egypt and Nubia: Gifts of the Desert*, edited by Renée Friedman, British Museum Press, 2002, London, pp. 13-20.

F. WENDORF ET ALI, “Tumuli, Cattle Burials and Society in the Eastern Sahara”, in: *Dynamics of Populations, Movements and Responses to Climatic Change in Africa*, edited by B. E. Barich and M. C. Gatto, Bonsignori Editore, 1997, Rome, pp. 90-104.

R. J. WENKE, *Patterns in Prehistory: Humankind’s First Three Million Years*, Oxford University Press, Oxford, Fourth Edition, 1999.

“Non-agricultural Complex Societies and their pottery during Prehistory in Egypt and North America – A Comparative Study”

Dr .Eman ElSayed Aly Nouredin Khalifa*

Abstract:

Agriculture, the main component of civilization, provides a surplus, which requires storage in pits or pottery vessels. Surplus led to conflicts and necessitated the emergence of social complexity to protect it. The appearance and diffusion of pottery vessels is associated in the Old World with the spread of agriculture itself. In the New World, the earliest evidence of domesticated plants was discovered in Mexico and dates to the 8th Millennium BC. In North America, similar evidence dates to the end of the Middle Archaic. This paper juxtaposes non-agriculture social complex societies in North America and compares them to their counterparts in the parts of the Old World, such as Nabta Playa and Sudan. These societies made pottery and practiced at least one form of sedentism while relying on subsistence-bases other than agriculture.

Keywords:

North American Prehistory, Social Complexity, Agriculture, Emergence of Pottery, Food Production, Nabta Playa

* Lecturer, Egyptology Department, Faculty of Archaeology, Cairo University, Egypt
ekhalifa13@gmail.com